

صور من التشبيه في أحاديث جامع الترمذي

إعداد:

د. إدريس أبو بكر أرغنج

قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي-صكتو^١

الملخص:

تهدف هذه المقالة بعنوان "صور من التشبيه في أحاديث جامع الترمذي" إلى إبراز أنواع التشبيه الواردة في بعض أحاديث الكتاب من حيث أطراف التشبيهات لإخراج ما فيها من القيم اللغوية عند الدراسة البلاغية وأسرار حولها في ادراك الفصاحة النبوية من تعاليم الأحاديث كجمال الدراسة الأدبية. وقد تأصلت المقالة بحقيقة التشبيه عند البلاغيين ثم واصلت إلى تنوع نكت أطراف تراكيب الأحاديث بلاغيًا مدعماً مظهر من المظاهر البيانية لروية جمال التراكيب والعبارات يرجى بذل العناية في فهمها لكل أديب وأن الأحاديث النبوية بمنزلة دائرة المعارف اللغة العربية.

ABSTRACT

The Paper Titled "Form of Tashbeehi in Collections of Imam Trirmidze" aims at drilling about some furthers of rhetorical aspect s narrated in the back of Imam tirmidzee, through the edges of similarities to justify their rules in rhetorical studies. In Qorder one to grasp some hints about the prophetic Lingual degree in the studies of Textual texts of Hadith as background of Arabic Literature. The Paper proceeds with the Term "Team" of similarity according to Rhetoric's and then proceeded to it's classifications by supporting Analytical Studies then it be concluded that such rhetorical similarity aspects are important to be comprehended in literature studies as well as everyone who wish to undergone textual studies of Hadith literature must study this as primarily.

مقدمة:

الحمد لله العليم الحكيم الذي أنزل على رسوله الكتاب المبين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله المطهرين وأصحابه الأطهار.

^١ Abubakaridrisarg1@gmail.com 08036518202

وبعد، وقد خطر ببالي الباحث أن يكتب سطوراً قليلة عن طرفي تشبيه البلاغة العربية وما يظهر من ذلك من الأنماط القوية في تفهيم العقول السليمة، وأن يكون محور ذلك مستمداً من السنن النبوية المطهرة مما ورد في الصحاح الست المشهورة، فاقصر الباحث على جامع إمام الترمذي، لما ظهر فيه من الغرض المنشود ونظم عمله في ثلاثة محاور بعد المقدمة، وهي كالاتي:

- أولاً: تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً.
- ثانياً: طرفي التشبيه وتقسيمها إلى حسي ومعنوي.
- ثالثاً: تعدد طرفي التشبيه
- رابعاً: التشبيه على غير طرفة الأصلية.

تعريف التشبيه لغة واصطلاحاً:

قد عرف البلاغيون التشبيه أنه وصف يشمل المشابهة التي تشارك بين شيئين أو أكثر في الهيئة والضرب وقد تكون المماثلة حالية أو معنوية كما تكون حسية أو عقلية^١. ومما يقولون: إن التشبيه يؤدي روعة وجمالاً ويقع موقعاً حسناً في التعبير وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي وإدناؤه البعيد إلى القريب مما يزيد المعاني رفعة ووضوحاً، ويكسبها جمالاً وفضلاً، ويكسوها شرفاً ونبلاً، فهو فن واسع النطاق فسيح الخطو ممتد الحواشي متشعب الأطراف متوعر المسلك غامض المدرك، دقيق المجرى، غزير الجدوى.

فالتشبيه أسلوب من أساليب البيان، ويعمد عليه المتكلم أو الكاتب إذا أراد أن يثبت صفة لموصوف مع التوضيح فيعقد بين الاثنين مماثلة تجعلها وسيلة لتوضيح الصفة أو المبالغة في إثباتها، لذلك كان التشبيه أول طريقة تدل عليه الطبيعة لبيان المعنى.

وفي تعريفه قيل: التشبيه في اللغة التمثيل، يقال هذا شبه هذا ومثله^٢. وقد يأتي معنى اللفظ بمعنى "الإيهام"، فيقال أشبه عليه الأمر أي أهمه عليه حتى أشبهه بغيره.

وأما التشبيه في اصطلاح البلاغيين فهو إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة^٢، وبعبارة أخرى هو "عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم أو الكاتب"^٣.

يشمل التشبيه على أربعة أركان، المشبه، والمشبّه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، على أنها أصل في العقد للتشبيهات.

فالركن الأول يراد به الأمر الذي يقصد إلحاق بغيره، والثاني هو الأمر الذي يلحق به المشبه، فهذان الركنان يسميان طرفي التشبيه. ثم ثالثهما الذي يعرف بوجه الشبه هو الوصف المشترك بين الطرفين ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يذكر في الكلام وقد يحذف. والرابع أداة التشبيه هي اللفظة التي تدل على التشبيه وعمليتها في العقد ربط المشبه بالمشبه به، وقد تذكر الأداة في التشبيه وقد تحذف كالركن الثالث السابق الذكر^٤.

بلاغة التشبيه:

أما بلاغته من حيث الصورة الكلامية التي يوضع فيها فمتفاوتة أيضا، فأقل التشبيهات مرتبة في البلاغة ما ذكرت فيه الأركان جميعها، لأن بلاغة التشبيه مبنية على ودعاء أن المشبه عين المشبه به ووجود الأداة ووجه الشبه معا يحولان هذا الدعاء، فإذا حذفت الأداة وحدها أو وجه الشبه وحده ارتفعت درجة التشبيه في البلاغة قليلا، لأن حذف هذين يقوى إدعاء اتحاد المشبه بالمشبه به بعض القوة. أما أبلغ أنواع التشبيه عند بعض الدارسين فالتشبيه البليغ لأنه مبني على إدعاء أن المشبه به والمشبه شيء واحد.

١- التشبيه من حيث طرفيه الحسي والمعنوي:

ففي هذه النقطة عبارة عن طبيعة المشبه أو المشبه به عند إدراكهما، إما أن يكون شيئا يدرك بالعقل أو يكون الإدراك بالحس. وقد جاء أحاديث من روايات الجامع الترمذي بهذه الأنواع للتشبيه، منها:

أ- تشبيه العقلي بالعقلي:

فمن أمثلة العقلي بالعقلي بين المشبه والمشبه به، ما جاء في قول الشاعر:

العِشْقُ كَأَمُوتٍ يَأْتِي لَا مَرَدَ لَهُ ** مَا فِيهِ لِلْعَاشِقِ الْمُسْكِينِ تَدْبِيرٌ.

فالعشق مشبه "عقلي" و"الموت" المشبه به "تمثلي" أيضا إنما يدرك الحالين بالعقل العشق أو الموت فلا يرى بمجرد العينين فطرفا التشبيه مركبان من عقليين.

وقد ورد في أحاديث جامع الإمام الترمذي الصورة منها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"^٧. "فضل عائشة" مشبه، و"فضل الثريد" مشبه به، و"الكاف" أداة، ووجه الشبه ملحوظة في إثبات أهمية عند المقتتات، فالفضل معروف عقليا، وقد لا يعرف قيمة شيء على أحد إلا بالعقل ولو أريد أن يعرف ما دون ذلك فبالعقل يوازن الأفضلية بينهما، وعلى هذا يفهم أن التشبيه (فضل عائشة) عقلي، وكذلك المشبه به (فضل الثريد) عند الملاحظة يفهم أن طرفي التشبيه عقليان، لأن المقصود يرجع إلى الفضل والدرجة والمنزلة التي تحكم بالعقل.

ومن التشبيه الواردة في الأحاديث وطرفيه عقليين قوله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر الشباب! عليكم بالباء، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطيع منكم الباء فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء"^٨.

و"الصوم" مشبه، و"جاء" مشبه به، فالأداة ووجه الشبه محذوفان، وبذلك أصبح التشبيه بليغا، وأما الطرفان فعقليان إذ لا يرى الصوم والوجاء بمجرد العينين وإنما يدركان بالعقل. واستفاد من الحديث التعليم والإرشاد إلى طريقة صيانة النفس من الوقوع في الفحشاء، وعلى هذا يمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ملازمة الصيام تهدؤ الغريزة الجنسية، وإن الوجاء عقلي لا الحسي، فهذا هو السرّ البلاغي لهذا التشبيه البليغ.

ومن التشبيه في الأحاديث ما التشبيه في الأحاديث ما ورد في حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "العبادة في الهرج كهجرة إلي"^٩. المشبه "العبادة" والمشبه به "الهجرة"، وأداة التشبيه "الكاف" ووجه الشبه "اللجوء" وتعلم السنة النبوة على هذا المنطلق أن من وجد نفسه في حالة المذكورة يترتب له الثواب والأجور. وهذا

يدل أن المواظبة على العبادة في حالة الاضطرابات لها منزلة مرموقة في المنازل للمؤمنين، ولذا عليهم أن يواظبوا على العناية بالعبادة في أي حالٍ كان.

ب- تشبيه العقلي بالمحسوس:

ومثال ذلك في قول الشاعر:

لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا ** كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمَقَلِّ ١٠.

النوم هو المشبه به على نفس الشاكلة. وكذلك قول آخر:

وَرَاغَهَا صَوْتُ عَمِيقٍ مَثِيرٍ ** جَلَجَلَ فِيهَا مِثْلَ صَوْتِ الْقَدْرِ ١١.

فالمشبه والمشبه به في هذا التشبيه مدار إدراكهما العقل ألا هما صوت عميق وصوت القدر.

ومن الأحاديث التي تحتوى التشبيهات مما طرفها مركبان من العقلي بالحسي ما جاء في حديث رواه أبو هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من حافظ على شفعة الضحى غفرت له ذنوبه وإن كانت مثل زيد البحر" ١٢. فالحديث يوجه المسلمين إلى فضل صلاة الضحى وما فيها من كثرة الأجور والثواب لمن حافظ عليها، ولأهمية ذلك شبهت بزبد البحر كثرة. فالمشبه هو "الذنوب" وهو عقلي، والمشبه به حسي هو "زيد البحر" والأداة لفظة "مثل" ووجه الشبه في الكثرة والوفرة، وقد شبه النبي صلى الله عليه وسلم الأجر التي يمكن أن يحصل عليه الحافظ على شفعة الضحى بزبد البحر من حيث الكثرة، واستحالة إحصائها وهذا هو السر في عقد هذا التشبيه للطرفين المتباينين.

الوارد في الأحاديث المشبه عقلي والمشبه به حسي قوله صلى الله عليه وسلم: "إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه" ١٣. فالذنوب غير حسي وأصل الجبل إنما هو حسي لأنه يرى، فالمشبه في الخبر هو "الذنوب"، والمشبه به هو "أصل الجبل"، فالمشبه عقلي، وأما مشبه به حسي وبهما عقد التشبيه، وبلاغتهما إثبات خشية الله في نفس المؤمن.

وتشبيه العقلي بالحسي في أحاديث جامع الترمذي ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم في تشبيه مرسل رواه عن أنس: "مثل أمتي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره"^{١٤}. فطرفا التشبيه عقلي بالحسي أولهما الذي هو "أمتي" مشبه محليا ومعناه حالة أمتي، والثاني الذي هو مشبه به "المطر" حسي دلالة أن المقصود بهما حالتي الأمة والمطر، والأداة في التشبيه لفظة "مثل" ووجهه في الكثرة، فالحديث يوجه إلى الاعتبار بما في شئون الأمة من الحركات والتصرفات المتنوعة ومطابقتها بحالات الأمطار من الغزارة والفوائد.

ت- تشبيه المحسوس بالمحسوس:

وهذا هو النوع من التشبيه الذي يجيء الطرفان فيه حسين.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترنجة ريحها طيب وطعمها طيب"^{١٥}. المؤمن الذي يقرأ القرآن مشبه وهو حسي، "الأترنجة" مشبه به وهي حسية أيضا، والأداة "كمثل" ووجه الشبه "الطيب" ويعلم هذا الحديث المسلمين أهمية لزوم قراءة القرآن الكريم، لأن ذلك يرفع درجة الإنسان إلى مقام مرموق، ويحسن علاقته بربه روحيا إذا كان القارئ يداوم على واجبه محتسبا من الله.

ومن هذا التشبيه ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز لا تهرت حتى تستحصد"^{١٦}. في الخبر تشبيهان أحدهما للمؤمن والثاني للمنافق، وطرفا كل منهما محسوسان، فالمشبه في التشبيه الأول هو "المؤمن" والمشبه به "الزرع"، وأداة التشبيه "كمثل"، ووجه الشبه "التعرض للابتلاء والمصائب"، وأما الثاني فالمشبه فيه هو "المنافق" و"شجرة الأرز" هو المشبه به، والأداة "كمثل" ووجه الشبه "عدم التعرض للابتلاء والمصائب" فالحديث يعبر عن حالة المؤمن في تعرضه للابتلاء والاختيار من الله سبحانه وتعالى لإعلاء منزلة إيمانه، ولا يعيش المؤمن الحقيقي إلا أن يبتيه الله في إيمانه وتوحيده لله تبارك وتعالى. وأما الكافر أو المنافق فقد يكون سالما من الابتلاء لأنه إذا تعرض لابتلاء وقف وضعف وأظهر عجزه، ولذا شبه الرسول صلى الله عليه وسلم الشخصين قوة وضعفا، والسرّ البلاغي في هذا التشبيه إن شجرة الأرز أضعف في الزرع عاديا، ولذلك مثلها بها يلزم قوته مهما هبت الرياح فتستمر وتنمو إلى مبلغ النضوج فينتفع منها.

وفي الحديث الذي رواه سهل بن سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين، وأشار بإصبعيه، يعني السبابة والوسطى"^{١٧}. فالمشبه في هذا الحديث ضمير "أنا" لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و"كافل اليتيم"، و"الكاف" أداة التشبيه، واللفظة "هاتيتن للإشارة" هو مشبه به المعنون بالعلاقة بين السبابة والوسطى فهو حسّي، ووجه الشبه "القرب" فالطرفان إذا حسّيان، وأما ما يوجه إليه تعاليم الحديث هو فضل العناية بالأيتام في المجتمع الإسلامي وأن من يعتنى بهذا يجب أن يكون قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة.

ومن هذا النوع من التشبيه الذي يعنى فيه الطرفان حسّيين ما في حديث أنس بن مالك قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما مثل المريض إذا برأ وصح كالبردة نقع من السماء في صفائها ولونها"^{١٨}. فالمشبه هو "المريض" الذي هو حسّي، وأما المشبه به هو "البردة" فحسّي، وأداة التشبيه هي "الكاف"، ووجه الشبه في صفائها. حيث ينبه الحديث على ما في حالة الصحيحة من المتعة والراحة يجب على الإنسان أن يهتم بطبيعة جسمه ويقيه مما يؤدي إلى فلق وأمراض أو مصائب له، فمن ذلك يشبه الرسول الكريم حالة الصحة بالبردة ليضاحها العاقل بينها وبين المريض فيختار بعقله ما يكون أهلاً له إذا وجد نفسه فيه.

٢- التشبيه باعتبار تعدد طرفيه:

فقد يتنوع ألفاظ طرفي التشبيه من حيث قلتها وكثرتها إلى الأفراد والتعدد تحت مصطلحات قيدها البلاغيون في أبحاثهم البلاغية، ومن ذلك: الأفراد، واللفوف، والتفريق، والتسوية، والجمع.

أ- تشبيه المفرد بالمفرد:

هو أفراد لفظية المشبه والمشبه به، ما جاء في حديث قال صلى الله عليه وسلم: "العبادة في الهرج كهجرة إلي"^{١٩}. فالمشبه مفرد وهو "العبادة" والمشبه به كذلك وهو "هجرة"، وأداة التشبيه هي "الكاف" ووجه الشبه "الفضيلة"، وتعليم الحديث يدور حول أهمية العناية بالعبادة في أي حال من الأحوال يجد المسلم نفسه فيها، لأن في ذلك فضل عظيم عند رب العالمين.

ومن التشبيه الأفراد قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة قال: "ضرس الكافر مثل أحد"^{٢٠}. فالمشبه هو "ضرس" والمشبه به هو "أحد" وهما طرفا التشبيه مفردان، وأداة التشبيه هو "مثل"، والتشبيه مجمل لعدم ذكر وجه الشبه فيه. ويصوّر الحديث كيف يبعث الكافر يوم القيامة لأن فمه طماع في أكل المحرمات وخلاف ما يقوم به المسلم بمقتضى قوله تعالى: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ"^{٢١}. وقوله: "كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ"^{٢٢}. لكن الكافر على خلاف ذلك.

وقال عليه الصلاة والسلام: "المتعدى في الصدقة كما نعبها"^{٢٣}. فالمشبه في التشبيه هو "المتعدى" مفرد، والمشبه به هو "المانع"، و"الكاف" أداة التشبيه، ووجه الشبه في الجزاء. ويعلم الحديث أهمية الإخلاص في الأمور كلها، ويحذر من اتباع الخيرات بالأذى إذ يفسدها، وعلى هذا يقول صلى الله عليه وسلم أن من ستن سنة سيئة في أعمال الخير أو خطط خطة في انفاذها كأنه الفاعل وإن لم يشارك فيه بيده حيث ما كان المشسّشار في التعدى أو المرشد إليه فهو هو.

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه الذي ينفرد فيه لفظ المشبه والمشبه به قول الشاعر:

أنت كالوردة لمسا وشذا ** جادها الغيث على غضن نضر.

وقال آخر:

إنما الناس كالسوائيم في الرز ** قى سواهم جهولهم والعليم

وقال آخر:

أنت مثل العصن لئنا ** وشبيهه البدر حسنا^{٢٤}.

ب- التشبيه المفروق:

هو أن يأتي تشبيهان أو أكثر في الجملة ويكون كل التشبيه مع المشبه به ويفرق بين التشبيه الأول والثاني بحرف عطف، ومثله في أحاديث جامع الترمذي ما في قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غرّ كريم والفاجر خبّ لئيم"^{٢٥}.

الخبر في تشبيهين بليغين، فالأول المشبه فيه هو "المؤمن" والمشبه به هو "غرّ"، وفي الثاني، فالمشبه هو "الفاجر" والمشبه به هو "لئيم"، ويحرض الحديث على أهمية الأخلاق النبيلة للمسلم.

ويقول أبو نواس:

تبكي فتدورى الدر من نرجس** وتمسح الورد بعتاب^{٢٦}.

شبه الدمع بالدر لصفائه، والعين بالنرجس لما فيه من اجتماع السواد بالبياض والوجه بالورد.

وقال صلى الله عليه وسلّم في حديث آخر: "مثل المؤمن كمثل الزرع لا تزال الرياح تفيئه ولا يزال المؤمن يصيبه بلاء، ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز"^{٢٧}.

وهذا الحديث أيضا مشتمل تشبيهين مجملين، فالأول هو قوله صلى الله عليه وسلّم: "مثل المؤمن كمثل الزرع" فالمشبه فيه "المؤمن" و"الزرع" هو المشبه به ولفظة "مثل" هي أداة التشبيه، وأما الثاني هو قوله: "ومثل المنافق كمثل شجرة الأرز"، فالمشبه هنا "المنافق"، والمشبه به هو "شجرة الأرز"، وأداة التشبيه لفظة "مثل"، وقد فرق بين التشبيهين أداة العطف التي هي "الواو" في نفس الخبر بالمعصية. فالحديث يثبت أن المؤمن مجرب دائما ويتعرض لبعض المصائب تطهيرا له، وأما الكافر فقد يكون معا في عن الابتلاء لأن الدنيا له متاع قليل.

ت- تشبيه التسوية:

وهو تعدد المشبه دون المشبه به، وذلك أن يكون المشبه لفظين فأكثر من حيث يأتي المشبه به لفظة واحدة.

كقول الشاعر:

صَدَاغُ الْحَبِيبِ وَحَالِي** كِلَاهُمَا كَاللِّيَالِي
وَتَغْرِةٌ فِي صَفَاءٍ** وَادْمَعِي كَاللِّيَالِي^{٢٨}.

شبه في الأول صدع الحبيب وحاله هو الليالي في السواد، وفي الثاني شبه ثغر الحبيب ودموعه بالليالي في قدر الإشراف.

ومثال ذلك في أحاديث الترمذي قوله صلى الله عليه وسلم من حديث معاذ بن جبل: "ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها كالمسك"^{٢٩}. فالمشبه في هذا الحديث متكوّن من تشبيهين هما "من جرح" و"من نكب" اللذين يضمهما "أو" العاطفية، والمشبه به هو "أغزر" و"الكاف" أداة التشبيه، فالتشبيه إذًا بأسلوب التسوية لتعدّد المشبه وإفراد المشبه به.

فعلى نفس الصورة يقول أمرؤ قيس:

كَأَنَّ عَيْونَ الوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا * * وَأَرْحَلْنَا الجَنْعِ الَّذِي لَمْ يَقْبِ.

قد شبه حالة عيون الوحش وحطرها ليصاعتهم يحاولون لمناعتهم عنها كالفرق الذي بين لوني الأبيض والأسود، فالمشبه تعدد والمشبه شيء واحد المتاعة.

والتعليم الذي يوجد من الخبر هو أهمية الجهاد في سبيل الله لأن كل ما يصيب المجاهد في حالة جهاده ففيه بركة وفضيلة حتى الجرح الذي يصيبه في أعضائه. فشبهه ربح الجروح في الجهاد بالطيب من الزعفران والمسك وغير ذلك من أطيب الروائح التي يحبها كل عاقل ظريف.

وكذلك في حديث سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"^{٣٠}. والمشبه هو الضمير الشريف لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكافل اليتيم، والمشبه "هاتين"، والأداة "الكاف" والتشبيه تسوية لتعدّد المشبه وإفراد المشبه به.

ويعلم الحديث أهمية كفالة اليتيم في الإسلام وما يجب على الدولة والجماهير القيام بها نحو الأيتام في حفظ حقوقهم وصيانة أعراضهم وتهذيب نفوسهم بما يستحقون في حياتهم.

٣- التشبيه على غير طريقه الأصلية:

أ- التشبيه المقلوب:

هو نوع من التشبيه الذي يكون المشبه به أقل درجة من المشبه خلاف المؤلف في الفرق البلاغي كما اتفق عليه البلاغيون أنه على المشبه به أن يكون أقوى في وجه الشبه من المشبه، ويسمى هذا النوع من التشبيه بالمقلوب.

ومثال ذلك ما جاء في حديث أبي موسى الأشعري حين مثل الرسول عائشة أم المؤمنين بالثريد في قوله صلى الله عليه وسلم: "وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"^{٣١}. فالمشبه هنا هو "فضل عائشة" والمشبه به هو "الثريد" وعند النظر في وجه الشبه يجب أن يكون أقوى في المشبه به، لكن في السياق جاء خلاف الطريقة المعروفة، فأصبح كأن وجه الشبه يكون قويا في المشبه من المشبه به، لأن السيدة عائشة أم المؤمنين التي هي المشبه فوجه الشبه هنا أقوى فيما من المشبه به الذي هو "الثريد" وفي هذا الأسلوب نقطة الخلاف للطريقة المعروفة في التشبيه، وهو تشبيه القوي بالضعيف خلاف تشبيه الضعيف بالقوي.

وفيه من سياق الخبر زيادة البيان على المنزلة الرفيعة التي وهما الله سبحانه وتعالى لعائشة أم المؤمنين على سائر نساء الأمة المحمدية، وإخراج تلك الصفة في أقرب ما يكون إلى عقول المخاطبين.

وكذلك جاء في حديث يصور "عين الدجال" في قوله صلى الله عليه وسلم: ".... ألا وإنه أعور عينه اليمنى كأنها عنبة طافية"^{٣٢}. فالمشبه هو "عين اليمنى"، والمشبه به هو "عنبة طافية" واتباع الطريقة المعروفة في التشبيه يكون الأسلوب عنبة طافية كعينة اليمنى، لكنه جاء بأسلوب خلاف المعروف فشبه عضو الحي بغير حي، والغرض من ذلك التحقير لصاحب العين، مع أن وجه الشبه يجب أن يكون أقوى في المشبه به من المشبه، لكنه ظهر بخلاف ذلك لمخالفة الأسلوب المتبع لعقد التشبيه.

ويعلم الحديث حقارة الدجال في الخلق وعدم اتباعه الطريق المستقيم لإعوجاجه.

ومن أمثلة تشبيه المقلوب من أحاديث الجامع الترمذي تشبيه الإنسان المسلم القارئ بالأترنجة التي هي زراعة للطلب في قوله صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترنجة"^{٣٣}. ومهما أقوى درجة رائحة وطعمه في الأترنجة، فالإنسان أقوى منه درجة، والأفضل أن يشبه الأترنجة بالقارئ في الدرجة، لكن التشبيه جاء

به على خلاف الطريقة المعروفة كما ظهر، فالمشبه هنا هو "القارئ" الذي هو "الإنسان ذو الدرجة العالية"، والمشبه به هو "الأترنجة" هو الزراعة التي هي أسفل من الإنسان في الدرجة. وأداة التشبيه لفظة "مثل".

وفهم من تعليم هذا الحديث فضل المؤمن القارئ الذي يلزم معاملة القرآن الكريم في حياته. ومثل هذا التشبيه قول أبي تمام في المدح:

وَأَحْسَنُ مِنْ نُورٍ يَفْتَحُهُ الَّذِي ** بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سِوَادِ الْمَطَالِبِ^{٣٤}.

وقد شبه نور الإنسان العظيم بجماد، لأن قيمة كل عطية مهما تكن تحت قيمة الإنسان بكونه آدميا لكن النكت البلاغية عالجت الصورة في التشبيه تجوزا.

وكتب إبراهيم الناجي يصف الصحراء^{٣٥}:

فَهَذِهِ الصَّحْرَاءُ عُرْيَانُهُ ** مُمْتَدَّةٌ خَائِنَةٌ كَأَمْلَالٍ.

ب- التشبيه الضمني:

وأما هذا النوع من التشبيه لا يأتي فيه المشبه والمشبه به بالطريقة المعروفة، إنما يؤتى بهما لمحا في سياق الجملة.

ومن أمثلته ما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة: "لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم"^{٣٦}. وبالملاحظة أن هذا النوع من التشبيه لم يظهر بطريقة التشبيه المألوفة، وإنما يلمح من سياق العبارة. فالمشبه استحالة دخول الباكي من خشية الله النار، والمشبه به "استحالة عودة اللبن إلى الضرع، فإذا كان الثاني مستحيلا فالأول أيضا مستحيل، فإذا يمكن ذلك فيتحقق الحكم الأول، ولما لا يمكن فمحال من إمكانيته عند الله سبحانه وتعالى لحمايته لذلك العبد الخاشع، فهذا هو ما مثل في التشبيه.

وهذا كما يقول الشاعر:

لَا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِيِّ ** فَالسَّئِلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي^{٣٧}.

وقول امرئ قيس:

فَعَنَّ لَنَا سَرِبٌ كَأَنَّ نُعَالَجَهُ ** عَدَارِي دَوَارِي فِي مَلَاءٍ مُذِيلٍ^{٣٨}.

ت- التشبيه البليغ:

هو الذي خذف منه الأداة ووجه الشبه.

ومما جاء في أحاديث جامع الترمذي من نوعيته قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " يا معشر الشباب! عليكم بالبراءة، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، فمن لم يستطيع منكم البراءة فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء"^{٣٩}. فالمشبه هو "الصوم"، والمشبه به هو "جاء" والأداة ووجه الشبه محذوفان، والحديث إفادة ما في الصوم من العفة وحفظ الفروج عن الفواحش، لأن الصائم إذا كان محتسبا فعمله ليس مجرد الإمساك من الأكل والشرب فحسب بل يضم الإمساك من الشهوات وقمع طغيان الغريزة الجنسية. والسّر في استعمال "الجاء" مشهبا به لأن النفس مائلة إلى الشهوات التي زينت لها من النساء أكثر من غيرها.

ويقول صلى الله عليه وسلم: "الجهاد سنام العمل"^{٤٠}. الجهاد مشبه، و"سنام العمل" مشبه به، والأداة ووجه الشبه محذوفان، ويبرز من الحديث قوة الجهاد وفضله على جميع أعمال المسلمين إذ به يؤسس الدولة ويوطد بها لصيانة حرمة الأمة الإسلامية، وأنه واجب عام، ولذا عبر عنه بسنام العمل دلالة على أنه الأساس لبناء الأمة، وعليه بنى رسول هذه الأمة الدولة وخلفه فيها أصحابه إلى اليوم.

وفي آداب سفر الجماعة يقول صلى الله عليه وسلم: "الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب"^{٤١}. هذا تصريح منه صلى الله عليه وسلم أنه ليس من دأب المسلمين أن ينفرد أحد برأيه، وكذلك لا يحل أن يسافر اثنان دون أن يكون أحدهما قائداً في السفر، والمرجو للمسلمين أن يكون جميع أمورهم شورى وأن يعملوا بمقتضى أو أمر قائدهم والتشبيه بليغ، فالراكب والركبان مشبهان، والمشبه به شيطان والشيطانان، وأما أداة التشبيه ووجهه فمحذوفان.

ومن التشبيه البليغ قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وسوء ذات البين فإنها الحالقة"^{٤٢}. "سوء ذات البين" مشبه، "الحالقة" مشبه به، والأداة ووجه الشبه محذوفان. إن المصالحة بين المسلمين هي الطريقة الوحيدة لوحدهم وقوتهم لمواجهة التحديات ووقاية حرماتهم لكن إذا تشتتوا وتفرقوا ستحلق تلك الخلافات قوتهم كما يحلق الشعر من الرأس فيذهب ربحهم، وهذا هو السرّ البلاغي في تشبيه افتراق المسلمين بالخالق.

وكذلك يعتبر من البليغ من هذا الحديث الذي يضم تشبيها مفروقاً في قوله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غرّ كريم والفاجر خبّ لئيم"^{٤٣}. "المؤمن" مشبه، "غرّ كريم" مشبه به، فالأداة ووجه الشبه محذوفان، وهذا نفس ما في "الفاجر لئيم"، والمشبه "الفاجر" والمشبه به "لئيم"، والحديث يضم تشبيهاً بليغين، وما فيهما فضل المؤمن على الفاجر في النوافع والفوائد الاجتماعية، وتضحية النفس في إجراء الأمور بدون النفاق والرزائل من الأخلاق، فاستخدام "كريم للمؤمن استخدام شامل للأمور الكثيرة من الخيرات، فشبهت بالهدايا والعطايا للجماهير وعلى نفس الشاكلة استعمل لفظ "اللئيم" للفاجر عكسا للمؤمن، لأن ما يترتب من الفجور أمور كثيرة نعوذ بالله منها.

وقد أتى التشبيه البليغ في حديث رواه أبو سعيد الحديري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدنيا خضرة حلوة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون"^{٤٤}. وما جاء في هذا التشبيه من جهة المشبه هو "إن الدنيا"، والمشبه به هو "خضرة حلوة"، وأما الأداة ووجه الشبه فمحذوفان فيه فصار تشبيهاً بليغاً لتجرده عن الركنين المذكورين كما أشار إليه البلاغيون.

وقد ظهر من الحديث وصف قيم للدنيا وصفها الحديث بأنها مجرد ملذات مؤقتة فانية فمن أشغلها للخير نجي وفاز ومن اغترّبها رسب وهبط.

الخاتمة:

بدأت المقالة بالتقديم عن مضمون الدراسة وأتبع ذلك بالمحاور الثلاثة التي بنى عليها مقالته وفروعها وحللها تحليلاً بلاغياً، أبرز من ذلك وجوه الفروق بين كل فرع وغيره، وقيمة بلاغته كوحدة دراسية خاصة، يحتاج إليها كل دارس في فن البلاغية، لا سيما الذين يخصصهم الدرس البلاغي في الأحاديث النبوية، كأدب ديني مخض. وفي

الأخير أنتج للقراء الأعزّاء ما وصل إليه من النتائج اللغوية، ونسأل الله تعالى أن ينفع الأمة المحمدية بهذا الجهد المقتصر، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش والمصادر:

- ١- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢١٤.
- ٢- الهاشمي، المرجع السابق، والصفحة.
- ٣- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس وغيره، القاهرة، د.ت، ص ٤٩٨.
- ٤- الهاشمي، المرجع السابق والصفحة.
- ٥- الميداني، عبدالرحيم، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، ص ٥٨٨.
- ٦- أنظر: الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٢١٥.
- ٧- جامع الترمذي، أبو عيسى بن محمد، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض محرم ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م. ١٨٤١/٣، ص ٣٢٩.
- ٨- جامع الترمذي، ١٠٨٣/٢، ص ٣٤٣.
- ٩- جامع الترمذي، ٢٢٠٨/٤، ص ٨٦.
- ١٠- المرجع السابق، ص ٢٣١.
- ١١- حنا الفاخور، الجديد في الأدب العربي، ج٢، مكتبة الدراسة ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٢م.
- ١٢- جامع الترمذي، ٤٧٥/٢، ص ١٩.
- ١٣- جامع الترمذي، ٢٥/٥، ص ٢٢٤.
- ١٤- جامع الترمذي، ٢٨٧٨/٤، ص ٣٩٧.
- ١٥- جامع الترمذي، ٢٨٧٤/٤، ص ٣٩٥.
- ١٦- جامع الترمذي، ٢٨٧٥/٤، ص ٣٩٦.
- ١٧- جامع الترمذي، ١٩٢٥/٣، ص ٣٦٨.
- ١٨- جامع الترمذي، ٢٠٩٣/٤، ص ٢٥.
- ١٩- جامع الترمذي، ٢٢٠٨/٤، ص ٨٦.
- ٢٠- جامع الترمذي، ٢٥٨٨/٤، ص ٢٦١.
- ٢١- سورة عبس، الآية: ٢٤.
- ٢٢- سورة البقرة، الآية: ١٧٢.

- ٢٣- جامع الترمذي، ٦٤٦/٢، ص ١٣٧.
- ٢٤- راجع الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢١٥.
- ٢٥- جامع الترمذي، ١٩٧١/٣، ص ٣٨٨.
- ٢٦- الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢٢٥.
- ٢٧- جامع الترمذي، ٢٨٧٥/٤، ص ٣٩٦.
- ٢٨- الهاشمي، المرجع السابق، ص ٢٢٥.
- ٢٩- جامع الترمذي، ١٦٦٢/٣، ص ٢٤٧.
- ٣٠- جامع الترمذي، ١٩٢٥/٣، ص ٣٦٨.
- ٣١- جامع الترمذي، ١٨٤١/٣، ص ٣٢٩.
- ٣٢- جامع الترمذي، ٢٢٤٨/٤، ص ١٠٥.
- ٣٣- جامع الترمذي، ٢٨٧٤/٤، ص ٣٩٥.
- ٣٤- مبادئ البلاغة والنقد، وزارة المعارف، الرياض، ١٤٣٢هـ، ص ٣١.
- ٣٥- إبراهيم ناجي، شاعر مصري، اشتهر بالوحداني، توفي سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م، المرجع السابق، ص ٣٢.
- ٣٦- جامع الترمذي، ١٦٣٩/٣، ص ٢٣٦.
- ٣٧- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة، دار المعارف، لبنان، ص ٤٥.
- ٣٨- الأدب والنصوص والبلاغة، حسين عمر مقبول وعبد المجيد ذكري بنغازي، ص ٤٨٤.
- ٣٩- جامع الترمذي، ١٠٨٣/٢، ص ٣٤٣.
- ٤٠- جامع الترمذي، ١٦٦٤/٢، ص ٢٤٨.
- ٤١- جامع الترمذي، ١٦٨٠/٣، ص ٢٥٦.
- ٤٢- جامع الترمذي، ٢٥١٦/٣، ص ٢٢٨.
- ٤٣- جامع الترمذي، ١٩٧١/٣، ص ٣٨٨.
- ٤٤- جامع الترمذي، ٢١٩٨/٤، ص ٨١.